السيد حسين رضا

ولد شقيقنا فقيد الاصلاح والفضيلة السيد حسين لبضع ليال خلت من شهر ربيع الاول سنة ١٢٩٩ (الموافق شهر يناير سنة ١٨٨٢) وقد اغتبط والده بولادته مالم يغتبط بولادة غيره من ولده ، وكان يقول انه ولد ليلة المولد النبوي وأنا أرى أنه ولد قبلها بليلة فان ليلة المولد هي ليلة تسع على التحقيق . وكان يحبه حباً شديداً حتى كان يظهر حبه له في حضرته خلافاً لعادته مع أولاده ، ويلوح المرة بعد المرة بقوله « هذا الحسين بن علي » فكأن هذا كان منه اشارة الى النجيبة به في المحرم

تعلم مبادي القراءة والكتابة في الفلمون ولاحت عليه من نشأته الاولى مخايل الذكاء والنجابة والعقل ، واعتصم منذ طفوليته بحبوة الحياء والادب ، وانني لأتذكر ان أحداً أهانه بقول أو فعل ، وكنت أنا الذي حملت الوالد رحمه الله تعالى على وضعه في مدرسة الحكومة الابتدائية في طرابلس (وكنت يومئذ اطلب العلوم الدينية والعربية في تلك المدينة) وكان يضن به على المدن خوفاً على أخلاقه ، ويحب أن يطلب العلم في غير المدارس الرسمية ، وكنت اتعاهده بكل ما يحتاج اليه ، فتلقى فيها شيئاً من مبادي التركية والفرنسية والحساب والصرف والنحو بالتركية !! وعلم الحال (العقائد والعبادات) ولكن حالة المدرسة الادبية لم تكن تلائم فطرته فتركها باختياره ولم يتم منها .

ثم أقرأته النحو والصرف والتوحيد والأخلاق وشيئاً من الفقه ورغبته في الادب . فقرأت له مع آخرين كتاب الاظهار وطائفة من كتاب ابن عقيل في النحو (وحفظ الالفية كلها أو بعضها) ، وكتاب المقصود في الصرف ، وكتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه الرازي ، وحضر على بعض دروس الاحياء والعقائد وفقه الشافعية

ثم هاجرت الى مصر وأنا ضنين به أن يبقى في وطنه ، وقد اشتد الضغط فيه على العلم وأهله وكتبه ، فكنت أطلبه من الوالد (رحمهما الله تعالى) فيرجئ ويسوف في ارساله ، حتى سمح به في أوائل سنة ١٣٢١ فوضته في الازهر فكان يحضر دروس التفسير والبلاغة على الاستاذ الامام ودرس فقه الحنفية على الشيخ احمد أبي خطوه ودروساً أخرى كان ينتقل فيها من حلقة ينتقدها ، الى حلقة يرجو أن يجد طلبته

فيها ، ويقرأ المنار ويحاول اتباع اسلوبه في الكتابة ، ولم يلبث أن ترك الازهر بعد وفاة الشيخين محمد عبده وأبي خطوه ، وما أراه أتم حضور كتاب على أحد فيه لانه لم يستطع الصبر على أسلوبهم — فهذا مجمل القول في دراسته . وكل من عرفه من أهل العلم كان يرى أن معارفه أكبر من سنه . هكذا قال الاستاذ الشيخ عبدالكريم سلمان والدكتور شميل والدكتور يعقوب صروف وغيرهم

كان رحمه الله تعالى كاتباً أديباً وشاعراً وسطاً وخطيباً مفوهاً ، وكان يمرض على في بدء الامر بعض ما يكتبه وما ينظمه فلا أجد فيه الا القليل من الخطأ الذي يقع في مثله أشهر الكتاب والاساتذة ، وما عتم أن استقل بنفسه ، وصار ينشر المقالات الادبية والسياسية والاجتماعية في الجرائد والمجلات الكبرى ، تارة بمضيه باسمه الصريح ، وتارة بلقب مستعار ، وقد كنت أنكر عليه أولا استعجاله بالاستقلال التام وأنا أعلم ان سبب الذي ساعد استعداده الفطري عليه هو الاقتداء بشقيقه وأستاذه الاول ، وأرى أنه فاته بهذا الاستقلال قبل أوانه ما كنت أحبه له من التوسع في العلوم الشرعية استعداداً لتحرير المنار ، وأن يكون ذلك برغبته واختياره ، فلم استطع أن أحدث له هذه الرغبة ، وحثته على اتقان اللغة الفرنسية فاشتغل بها زمناً ولكنه لم يتقنها كما يجب ولم يطاوعها البتة ، لانه كان يجري على سجيته ولا يطيق التكلف . وما كنت يائساً من عودته الى اتقان ما كنت أحب أن يتقنه وأنا أعلم ان رغبته اذا تحركت فانها تكون كالكهرباء مضاء وسرعة ، وجملة القول في علمه انه علم الاديب ، من كل فن حظ ونصيب ، وكان دقيق النقد ، حاضر الحجة ، قوي الذاكرة ، شديداً على الخصم مع النزاهة والادب . وله آثار وحكم وخواطر حسنة مدونة في مذكراته ، سننشر بعضها في المنار اصيانة لذكره ، وشرحاً لمكنونات صدره وخبايا فكره

أما أخلاقه وسجاياه فهي التي كانت أكبر مواضع الرجاء فيه ، وأظهرها وأعلاها استقلال الفكر وقوة الارادة والاباء وعلو الهمة وعزة النفس والصدق والامانة والعفة والنجدة والمروءة والشجاعة والاقدام والروية والوفاء والاخلاص ، وكنت أخشى أن يغلب ميله الى الشجاعة والرجولية ميله الى العلم والادب . أرأيت إذا اشرب صاحب هذه الاخلاق حب المصلحة العامة ، ووجه وجهه الى خدمة الامة ، مع حسن البيان بالقلم واللسان ، ألا يرجى أن يكون من المصلحين المجددين ؟ بلى وان فقيدنا الشاب قد كان مرجواً لهذا وأهلاً له ، لو قدر الله له عمراً طويلا

انني وان كنت أشهد لاخي وتلميذي فشهادتي حق ، وما تعودت بفضل الله الا قول الصدق ، ولا فائدة لي ولا له في اطرائه واعطائه ما ليس له بحق ، ويشهد له بذلك جميع من عرفه من أهل العلم والفضل الذين يقدرون الفضيلة حق قدرها أو جملتهم وبجموعهم ، كما تشهد له آثاره التي هي مرآة نفسه ، لانه لم يكن يكتب الا ما يملي عليه اعتقاده وشعوره ، وانني أنقل هنا بعض ما كتبه الى فضلاء المعزين

وإنما اختار من التعازي الكثيرة التي كتبت الي ما فيه تصريح او إشارة الى رأي الكاتب لها في فضل الفقيد وأخلاقه والرجاء في خدمته لأمته . والتعازي ضروب بعضها وعظ عام ، وبعضها ثناء على المعزى ، واكثرها إكبار للمصيبة بالكلام المجمل والوصف الشعري

(١)

كان أجدر الناس بأن يحفظ كلامه وينشر في هذا المقام صديقنا الاكبر الاستاذ العالم الصوفي الشيخ محمد كامل الرافعي أفضل الفضلاء في طرابلس الشام ، ولكن ما كتبه في هذا المصاب مشجون فيها ذكر ما وقع ووصف حاله هو فيها وما يعتقده في صديقه كاتب هذه السطور ، فلا يتعلق شيء كثير منها بغرضنا ، ويصح ان يكون منه بعض عباراته في اكباره المصاب على ما هو عليه من وقار المشيب ، وما اعتاده من مصارعة الخطوب ، كقوله حفظه الله تعالى

« فلم يفجأني الا خبر نعيه الذي اصم السمع ، وصدع القلب ، وكان له من التأثير على وجودي كله ما تميت معه أني لم أخلق ، واسرعت الى القلم دون أسفا جازعا ، فرأيت القيامة قائمة ، وشهدت من هول المصاب ما يذيب القلوب ويفطر المرائر ، ويذهب بالنفوس حسرات ، واجتهدت بحسب ضعفي اذ ذاك لتخفيف الهول على غير جدوى . وبالحقيقة ان مصابنا بالحسين عظيم ، والخطب فيه جسيم ، وإنما يقوى عليه بقوة من الله . »

ومن كتاب له الى ابن اخته جميل افندي الرافعي :

« ما فجعت بعد اخي احمد عارف رحمه الله(١) بمثل انفجاعنا لوفاة السيد حسين رضا ، ولا أمضني خطب كخطبه ، ولا أسفت لأحد كما اسفت لفقده ، ولو شئت لمددت مواهبه بلسان الندب ولكن قلبي من الحزن لا يطيق . ولقد صعب علي تعزية

(١) هو أكبر أخوته وأنفعهم وقد مات له غيره

(السيد) (١) به حتى لا أكاد اعقل ما كتبت. ولو اني حملت جبال رضوى لكان أهون علي ممن حملت من الكتابة اليه، على انه لا بد منه، والامر لله، وانا لله وانا اليه راجعون »

(٢)

ما كتبه الي لسان الصدق والحكمة السيد عبد الحميد افندي الزهراوي من الاستانة:

كتابي اليوم كتاب أسى وحزن، ولولا أن الجزع قبيح بعباد الله المؤمنين لكان قلبي اليوم جديراً أن يتسع للجزع وحده ويضيق عما سواه ولا أجد غضاضة علي في ذلك لولا الايمان، لان فقيدنا ليس من هذه الاعراض الفانية المتبدلة، كلا بل هو جوهر من أكرم الجواهر التي حظينا من الزمان باكتساب محبتها، والتعزي في هذه الحياة برؤية صفائها، هو من أعظم الهدايا الالهية التي آنسنا في المعامع الموحشة، معامع قيل وقال، وكثرة الجدال، هو من أفضل الاعيان التي تصبح زينة التاريخ بروق محامدها، هو « السيد حسين رضا » ويالهف قلبي حين يرى هذا الاسم مسطوراً في صفوف الغابرين، بعد أن عرفناه جمال محافل المعاصرين

اذا كان فقد الفضلاء ليس ببدع في عالم الكون والتحول فالجزع لفقدهم ليس ببدع أيضاً، واذا كان ذوي الغصون النضرة أمراً معهوداً فذرف الدموع لاجلهم أمر معهود كذلك، لكننا نجل سنة الله تعالى في أنفسنا، ونتكلف تقديم الانس بروحه على الانس بأشباحنا، فنتزحزح بذلك عن الجزع القلبي مستغفرين سبحانه عن الدموع التي لا نملك سدا لتيارها، ولا حول ولا قوة الا به، هو واضع الفطرة ومازج الضعف بالقوة

اذا أسى الآل الرضوي على الحسين فلا غرو، كيف والآسون عليه من سواهم يعدون المد، ويتماصون على الحد، فمحافل الآداب، ومعاهد العلوم، وبيوت الحسب، وما هل الشيبة، ومناهل الفضائل، كل ذلك بعض من أسى على هذا الغصن النضير الذي أنحته دوحتهم، وأوحشت منه اليوم رياضهم، وإن يلتمس الآل الرضوي عزاء فليس لغيرهم مثل ما يجدونه من العزاء بوجود مولاي الاخ الذي هو اليوم عزاء عالم الاصلاح كله

كتبت هذا وما أملي بأن أكون معزيا في الحسين أكثر من أن أكون معزى فيه، وذلك أن أخي الرشيد أغنى بقوة معرفته بالله سبحانه وأنسه بروح هديه وتجلياته

(١) اذا أطلقوا لفظ السيد يعنون به صاحب هذه المجلة

عن تعزية اخواته ، أما أنا فلا أستغني ولا أجدني سالياً ذلك الشاب الذي لا أفضل لي في عشق لطفه ، فان كل من عرفوه محكوم عليهم بالتقيد والتعلق بمناقبه ، فالله سبحانه مسئول ان يثيبنا في هذا المصاب ، ويكفي الآل الرضوي سائر الاوصاب ، وانا لله وانا اليه راجعون

اخوكم

عبد الحميد الزهراوي

وكتب في جريدته الحضارة التي تصدر في الآستانة

(السيد حسين وصفي رضا)

شاب نشأ في مهد المجد ، ورضع أفاويق المعالي ، وتضلع من الآداب والحكم ، وبلغ في المروءة والشهامة الغاية ، أتانا نبيه فوقع لدينا وقعاً مؤلماً ، وكان أسفنا عليه عظيما ، فقد كان فوق كل ماتقدم من صفاته صديقاً من أعز اصدقائنا ، وأحد من أكرم إخواننا ، فعزي فيه الفضائل والمعالي وأخانا العلامة المصلح شقيقه السيد محمد رشيد رضا صاحب «المنار» أجزل الله أجره ، وأطال عمره ، انا لله وانا اليه راجعون ، منه سبحانه نستنزل الرضوان على جدث الفقيد العزيز ، والصبر والسلوان على أفئدة أهله وعارفيه

(٣)

ما كتبه أكتب علماء طرابلس الشام وأعظم كتبها الشيخ اسماعيل افندي الحافظ المدرس في دار الفنون العثماني ومكتب النواب بالآستانة

سيدي الاخ الرشيد عزى الله قلبه بما يرجوه من سلاح الاسلام وانزال السكينة على قلبه . أكتب هذه الكلمات يد ترتجف أسفاً ، وانفاس تتقطع لهفاً ، وبين قلبي قلب يكاد يتطاير دما ، وينفطر ثأراً وألما ، وعلى عارضي دمع ينهل مدرارا ، ويتسابق انحدارا ، ثم لا يلبث أن ينقلب ناراً ، تذكي في أواراً ، دمع كأني احس بسوياء قلبي تسيل في وليه ، وسواد عيني يمتزج بأتيه ، حتى لو استعملته مدادا ، لرقم على هذا الطرس سوادا ، وذلك شأني منذ قرأت في جرائد طرابلس نعي ذلك الشاب الغض والحسب المحض ، والادب المرفى على الروض جمالا ، والخلق المزري بنفحات الزهر أريجا ، والذكاء الذي يكشف اعقاب المحذور ، ويكاد يشق حجب الغيوب ، ويستجلي خواطر القلوب ، فيالله من خطب رزئت به الفضيلة بجمالها ، والمكارم بكمالها ، والمروءة بنهجها ، والنجدة بهجتها ، وياحسرة الاقلام والمحابر ، والكتب والدفاتر ، وياما أطول أسفي على ذلك الفقيد ، وما أشد أشفاقي على قلب (السيد) كيف يحتمل

المصاب به والصبر على نضرة شبابه ، وهو أكثر أشقائه جرياً معه في سبيل الاصلاح ، وأقدرهم على مساعدته وتأييده ، ولكن علمي ببلغ صبر السيد واحتماله ، وتقي بمكنه في موقف الجهاد النفسي ، واستهانته بصروف الايام وزهده في متاع هذه الدنيا الفانية ، قد يهون بعض آلامي ، وينهنه من غلواء جزعي واشفاقي ، وهو ماهيأ لي سبيلا الى التقدم اليه بهذه التعزية الحزينة ،

وأما أنت أيها الاخ الصالح (١) فاني أعلم رقة شعورك ، وشدة عاطفتك بالفقيد ، وضعفك عن احتمال المصيبة به ، ولذلك كففت عن تقديم تعزية خاصة بك ، جزعا من ذكر هذه الفاجعة ، واشفاقا وكآبة وحزنا ، عزى الله قلبكما بفضله والهمكما الصبر الجميل ، وجزاكما الاجر الجزيل ، على انني لست اغنى منكما عن التعزية بهذا المصاب . وهنأ الله جميعاً جميل العزاء والسلوان ، وعوض الفقيد على شبابه بالروح والريحان ، وأعلى غرف الجنان ، وهو على فراقه المستعان

الداعي

اسماعيل الحافظ

(٤)

وكتب الاستاذ الاكبر ، بقية السلف الصالح ، الشيخ عبدالرزاق البيطار الدمشقي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله القائل « وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون » والصلاة والسلام على فقيد الأوائل والأواخر ، وعلى آله وصحبه الى اليوم الآخر

اما بعد فيا أيها الأخ العزيز الذي نحن شركاؤه في حزنه وبكائه ، ونظراؤه في كدره واسفه وبلائه ، ان المصائب تتفاوت في المقدار ، والحوادث تختلف باختلاف الاقدار ، وعلى قدر المشقة يكون الثواب ، ويضاعف الأجر بحسب المصاب ، وانت وان كنت اعلم منا بثواب الصبر ، وما اعد الله للصابرين من الثواب والأجر ، ولكن لا بأس بالمذاكرة والتذكير ، والقيام بأوامر السنة بلا فرق بين جليل وحقير ، فيا مولاي الجليل ، هل — للمخلوق من خلاص ونجاة ، مما حكم به الحاكم المطلق وقضاه ، وأني وايم الله حينما علمت بهذا الخطب دارت بي الارض دهشة وحيرة ، واظلمت الدنيا في عيني اسفا وحسرة ، وكتبت معزياً والقلم هائم ، والدمع هامٍ والكرب جاثم ، فيالها من

(١) يريد مخاطب شقيقنا السيد صالح

مصيبة ما اعظمها، وداهية ما افظعها واجسمها، وعلى كل حال ليس لنا سوى التسليم لولي الأمر، ولزوم الصبر، على ما هو امر من الصبر، وقد قال من له الأمر والشان، «كل من عليها فان» فالله يبقي لنا وجودكم جميعاً وينيلكم كل مراد ومرام، ويختم لنا ولكم بجميل الانعام وحسن الختام حرر في ١٩ محرم سنة ١٣٣٠ عبد الرزاق البيطار

(٥)

وكتب العالم الكبير، ذو التصنيف والتحرير، الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي:

حضرة مولانا اوحد الاعلام أطال الله في بقائه وبارك لنا في حياته، وافانا اليوم نبأ اذرف الدموع، واطار الهجوع، وخطب اورث الشجن، واطال الحزن، وانزل بنا اعظم مصاب، وارانا ما لم يكن بحساب

ادهشني والله ما فجعني، حتى حرت كيف أعزي وانا حقيق بان أعزى، ام كيف انلوما للصابر وانا الجدير بما يتلى، ولقد ابى القدر المحتم الا ان يمثل في المحرم فاجعة الحسين، وان يجعل لنا — وان لم نتشيع — من الشجو ضعفين، فانا لله وانا اليه راجعون، نسأله تعالى ان يفرغ علينا الصبر، ويوفي لنا بعظيم مصابنا الاجر، ويهب للسيد الاكبر من العمر أطوله، ومن العيش اكمله، والسلام

الاسيف
جمال الدين
القاسمي

في ١٥ محرم سنة ١٣٣٠

(٦)

وكتب صاحب الفضيلة، والمزايا الجليلة، الشيخ مصطفى افندي نجا مفتي بيروت:

سلام الله على حضرة الاستاذ الجليل أعظم الله أجره وأحسن عزاه بمنه تعالى وكرمه. وبعد فان نبأ الفاجعة الاليمة والمصاب العظيم، بصديقنا الاخ الكريم، قد جرح الفؤاد وأورثنا الاسف الشديد، وساء كل من عرف فضل هذا الفقيد الاديب، والكاتب النجيب، عامل الله من اعتدى عليه بما يستحقه. وعلى كل فالموت على العباد أمر محتم، والتسليم لله تعالى أولى وأسلم، والاستاذ حفظه الله جدير بأن يتدرع لهذا الخطب الكبير بصبر أكبر منه، فانا لله تسليما لامره تعالى، ولاحول ولا قوة الا بالله. اللهم افض على هذا الشهيد سجال رحمتك، واسكنه بفضلك في عالي جنتك، وسهل لاسرته الكريمة سبيل الصبر، وتحصيل الاجر، انك سميع الدعاء

الفقير مفتي بيروت
(الختم)

(٧)

وكتب صفوة أدباء بيروت أصحاب التوقيعات كتابا مشتركا قالوا فيه :

الاستاذ العلامة مولانا السيد محمد رشيد رضا أطال الله بقاءه

السلام على الاستاذ ورحمة الله وبركاته . وبعد فانا نكتب واليد مرتجفة والقلب يخفق والعين تدمع للرزء الجليل الذي أصيب به الادب والفضل والخلق الكريم والغيرة الصادقة . فكان هذا المصاب عاماً لكل من عرف الفقيد رحمه الله ولم تختص بذلك اسرته الكريمة . فتقدم بتعزية الامة عموما ولفضيلتكم خصوصا . ألهمنا الله جميعاً الصبر واعظم لنا ولكم الاجر

محمد علي القصاص عبد الرحمن سلام مصطفى الفلايني

(٨)

وكتب صاحبا الامضاء من مروءات بيروت وكبار وجهائها

الى السيد الحكيم أدام الله بقاءه

مصابنا بالحسين عظيم ، ووقعه في قلوبنا أليم ، وما لهذا الخطب العميم ، الا الجميل الصبر مما يعد من فضائل السيد الحكيم ، الصادع بأمر ربه ، الراضي بحكمه وقضائه ، فتكم والينا سنة التعزية ، عظم الله أجركم ويرحم الفقيد العزيز وعوضنا ببقاء السيد خيرا والسلام ١٦ محرم سنة ١٣٣٠ الداعي الداعي

يوسف سنو حسن بيهم

(٩)

وكتب الكاتب الخطيب الشهير الشيخ احمد طبارة صاحب جريدة الاتحاد العثماني في بيروت

﴿ إنا لله وإنا اليه راجعون ﴾

مولانا العلامة الاستاذ الرشيد

تناولت القلم لا كتب للاستاذ تعزية بالشهيد الحسين ، فتراءى لي هول المصاب وتمثل أمامي فضل الفقيد ، وأدبه الغض ، وخلقه الكريم ، فلم أدر ماذا أقول سوى أني أدعو الى الله تعالى بأن يفرغ على قلب الاستاذ الصبر الجميل ، والاجر الجزيل وأن يتمد فقيدنا بوابل رحمته ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والسلام

١٩ محرم الحرام سنة ١٣٣٠ احمد حسن طبارة

(١٠)

وكتب الاديب الفاضل سليل بيت العلم والفضائل، في بيروت (وهو الآن بمصر)

حضرة السيد الفاضل النبيل حفظه الله

اعرض ان المصاب باخ الطرفين شقيق حضرتكم لقد اصاب وايم الله كبدي الفضل والنبل واضاع الوطن بفقده شهما غيورا وعاملا بل املا كبيرا نشأ في حجري العلم والحكمة وشب متشحا بالافكار السامية والمبادئ الراقية الخ الخ

المخلص

محمد مصباح المرت

(١١)

وجاءنا من جمعية الاخاء الاسلامي ببيروت هذا الكتاب، فنشرناه بعد حذف رسوم الخطاب، فان لم يكن على شرطنا في موضوعه فللجمعية معنى يتصل به من وجه آخر، وليكن ختام ما ننشره من تعازي بيروت التي هي في مجموعها، اعرف البلاد السورية بقيمة رجالها:

نبدي ان نبأ الفاجعة الأليمة بوفاة الشقيق قد ملأ القلوب اسفا وحزنا، واسال من العيون مزنا، قضى رحمه الله رحمة الابرار، واسكنه دار الكرامة مع الاخيار، مضى في سبيل لا بد لكل حي من المسير فيه والمصير اليه بحكم مقدر الاعمار لأجلها، والآجال لميعادها، فلا ينفع الفائت الحزن، ولا يرفع الهم غير الاعتصام بالصبر، وكل ذلك لا يخفى على فضيلتكم، ومعالي ارشادكم احسن الله لكم العزاء ولقاكم من الصبر اكمله، ومنحكم من الاجر اجزله، ولا اراكم بعده ما تكرهون، وإنا لله وانا اليه راجعون

عن عموم اعضاء

٢٠ محرم الحرام سنة ١٣٣٠ جمعية الاخاء الاسلامي في بيروت

رئيسها: محمود فرشوخ

(سنذكر في الجزء الآتي نموذجا من تعازي سائر البلاد والاقطار)

﴿ الدولة العلية واليمن ﴾

نشر كاتب انكليزي شهد حصار صنعاء في العام الماضي وعاد في هذه الايام إلى انكلترة مقالة في التيمس وصف فيها ذلك الحصار وحالة البلاد في هذا الاوان. ترجمت جريدة المقطم خلاصتها، فرأينا أن ننشرها لتكون تتمة لما نشرناه من قبل في مسألة اليمن قال الكاتب

« عقدت الحكومة العثمانية صلحا غير جيد مع الامام يحيى بعد ما رشت زعماء الثورة بالاموال الطائلة ووعدتهم بالاصلاح فنال الامام بذلك اكثر مما كان يطمع فيه، وثبت في مركزه حاكما على قبائل الزيدية. ولم تتغير الحال في ما سوى ذلك عما كانت عليه قبل بدء القتال. فالأتراك يملكون صنعاء وقد اخرجوا معظم المراكز التي كانوا يحتلونها في الماضي، والامام يملك شهارة وسائر المعاقل التي كانت له. وقد اطلق الامام اخيرا سراح خمس مئة اسير من الجنود ولكنه لم يعد المدافع التي غنمها في هذه الثورة او في ثوراته السابقة. واضطرت الحكومة ان ترسل خمسين الف عسكري بقيادة عزت باشا وهو من اكبر قوادها للحصول على النتائج التي مر ذكرها

ولا يستطيع الواقف على حقيقة احوال اليمن ان يقابل الانباء التي وردت من الاستانة عن استعداد الامام لتقديم مئة الف مقاتل ليحاربوا الايطاليين في طرابلس الغرب الا بالابتسام. ذلك لان سلطة الامام اسمية اكثر مما هي فعلية ولان الحكومة العثمانية تعجز عن نقل هؤلاء المتطوعين الى ساحة الحرب. فالامام اذا في حل من ذلك ولا تعريب عليه اذا لم يبر بوعده

قد اتيح لي ان اكون في صنعاء لما كان الامام محاصرا لها وظل الحصار من شهر يناير الى اواخر شهر ابريل من العام الماضي. وكان عدد المحاصرين يتراوح بين عشرة آلاف وخمسين الف مقاتل. ولو هجم الثوار على المدينة بغتة لتيسر لهم فتحها عنوة لان حاميتها — وكانت مؤلفة من خمسة آلاف من المشاة وبعض الفرسان ونحو ٣٠ مدفعا — لم يكن في استطاعتها الدفاع عن السور الذي يبلغ محيطه اثني عشر كيلو مترا. ويقال ان الامام كان عازما على اتيان ذلك وأعد السلالم

اللازمة لتسلق الاسوار ولكن المقربين اليه ثنوه عن عزمه

وقد انفق الفريقان مقدارا عظيما من الذخائر سدى ، ولم يحتدم وطيس القتال الا لما دنا عزت باشا بجيشه من صنعاء فكانت الحامية تخرج من المدينة حينئذ وتهاجم الثوار فتنشب بينهما معارك شديدة يخسر فيها الفريقان خسارة جسيمة

وكان الثوار مسلحين ببنادق موزر من عيار ٧٤ وغني عن البيان ان هذه البنادق شديدة الفتك ، ولقد كانت الذخائر متوفرة عندهم والا ما استطاعوا ان يطلقوا على الاسوار نارا حامية اكثر من ثلاثة اشهر ، ومما يستغرب في هذا الامر ان البنادق والذخائر في شبه جزيرة العرب أرخص منها في اوروبا ، ولم يستعمل الثوار المدافع العديدة التي غنموها من الاتراك كثيرا لانه ليس بينهم من يحسن الرماية بها (؟) ولان معظم الذين تصيبهم قنابلها داخل المدينة هم من اخوانهم واتباعهم

وحدث انهُ لما عصفت ريح الثورة خرج بعض الجنود المحليين من العرب من المدينة وانضموا الى الثوار فشدد ولاة الامور على من تخلف من هؤلاء الجنود في المدينة واعتقلوهم هم وسائر الذين اشتبهوا فيهم من الاهالي الى أن انتهى الحصار ، ولم يشددوا الا في هذا الامر وتجاوزوا عن سيئة الذين سعوا في نسف الثكنات ، ويأول تسامحهم هذا بخوفهم من قيام العرب عليهم اذا سقطت صنعاء وانتقامهم منهم وحرصهم على حياة الجنود الكثيرين الذين اسرهم العرب

وزحف عزت باشا بجيشه من الحديدة على داخلية البلاد من غير ان يلاقي المقاومة التي كان يتوقعها ، نعم انه قاتل كثيرا في طريقه ولكن الثوار لم يدافعوا عن معقل من معاقلهم العديدة بين الحديدة وصنعاء مدافعة تستحق الذكر ، وقد دلت النتائج على أن تقاعدهم عن مقاومة الجيش كانت حكمة من الامام وليس جبنا منهُ ومن رجاله ، ولما بلغ الجيش صنعاء رأى انهُ لا يستطيع ان يخطو الى ما وراءها ، ولم تكن خسارتهُ في الحرب عظيمة ولكن الاوبئة فتكت به فتكا ذريعا ، وزد على ذلك انهُ لقي في طريقه مشاق وصعابا وانفق مالا كثيرا في الانتقال من مكان الى مكان ، وشاع بعد رفع الحصار ان الجيش كان ناويا التقدم الى شهارة ولكن عرب السواحل استأنفوا القتال الذي انتهى بواقعة جيزان المشئومة

فحال ذلك دون اخراج هذا العزم واضطر ولاة الامور أن يسرحوا بمفاوضة مشايخ عرب الجبال ليشتروا خضوعهم وولاءهم بالمال

ويستدل من هذه النتائج السلبية ان الحكومة العثمانية لا تستطيع اخضاع اليمن اخضاعا تاما وأن الاسباب التي تمنع الادريسي من الاتحاد مع الامام وهي اختلافات دينية ـ تمنعهُ ايضا من الاتفاق مع الحكومة ، هذا وان من تكرر الثورات في تلك البلاد ضرب من المحال الا اذا نزع السلاح من الاهالي ولكن الحكومة بدلا من أن تفعل ذلك مكنت العرب من غنم عدد عظيم من البنادق وبعض المدافع من جيشها وهم يرفضون الآن ما تعرضهُ عليهم من الاقتراحات لرد هذه الاسلحة اورد بعضها رفضا باتا

وعلاوة على ما تقدم فان التغلب على البلاد الجبلية في اليمن محفوف باخطار ومصاعب جمة اذا كانت الحال ملائمة لذلك لان البلاد وعرة المسالك تتخللها الجبال والهضاب من جميع الانحاء فتجعل المواصلات امرا صعبا جدا ان لم تقر محالا وفيها كثير من المعاقل الطبيعية ويسكنها قوم اشداء عرفوا بالبسالة والاقدام لانهم شبوا على الحرب وشن الغارات ولانهم مستكملو العدة والسلاح ، نعم ان التمرس والتدرب على القتال يعوزانهم ولكنهم متحدو الكلمة تراهم قلبا واحدا ويدا واحدة في الذود عن كل ما يوجب اذلالهم واخضاعهم اه

(المنار) يعتقد الكاتب أن الدولة لا تستطيع اخضاع اليمانيين بالقوة ثم هو ينصح لها بأن تأخذ منهم أسلحتهم فكأنه ينصح لها بأن تستمر على انفاق الملايين مما تقترضه من أوربة بالربا الفاحش وعلى بذل دماء الالوف من المسلمين كل عام لاجل أن يهلك الفريقان ويكونا غنيمة باردة للطامعين فيهم جميعا . ولو كان مخلصا في نصحه لاستنبط من علمه واختباره انه يجب على الدولة وهي لا يمكنها اذلالهم واخضاعهم أن ترضى بأن يتولوا أمور أنفسهم بمساعدتها تحت سلطتها وأن تؤلف منهم قوة يحمون بها بلادهم من الاجانب اذا اعتدوا عليها ويكونون عونا للدولة عند الحاجة اليهم . فحسبها أنها حاربتهم أربعة قرون وخسرت في ذلك الملايين من الرجال وبذر المال ، ولم تستفد في مقابلته شيئا قط